

ملتقى الخليج للبحوث

7 شباط 2010

كلمة الاستاذة السيدة اليسون ريتشارد

رئيسة جامعة كامبريدج

اصحاب السعادة والزملاء... سيداتي وسادتي

اهلا بكم

إنه لشرف كبير لي ان ارحب بكم هنا في كامبريدج, هذه المدينة الصغيرة في شرق انجلترا التي ظلت بوتقة انصهار للعلم والمعرفة من ارجاء العالم لاكثر من ثمانئة عام. إن الحدود الفاصلة بين الجامعة ومحيطها تكاد لا ترى هنا, فليس هناك من حرم جامعي محدد ومنفصل عن محيطه, ومباني الجامعة والكليات جزء لا يتجزأ من المدينة. أما الحدود القومية فهي الأخرى متخطاة ومتجاوزة, إذ تجد في الجامعة اكاديميين هنود يدرسون طلبه دراسات عليا من سنغافورة النظرية الاقتصادية الالمانية. وهذا التجاوز نفسه يحضر بقوة ايضا في تعاوننا المؤسساتي, فبينما تمثل جامعة كامبريدج ومركز الخليج للبحوث هيتين مستقلتين عن بعضهما البعض, إلا نهما تتبادلان الإستفادة من المكان والافكار والخبرة. إنني سعيدة جدا بعقد هذا اللقاء الدولي هنا, واهنيء كل من عملوا في كامبريدج والخليج حتى يبصر هذا المؤتمر النور.

ادرك ان لديكم برنامجا حافلا يحمل في طياته طموح التأثير المباشر على الحياة في الخليج. ولهذا, سأوجز واركز كلمتي على ما يمكن ان تسهم به الجامعات الكبرى في العالم لمواجهة اهم التحديات فيه.

تحمل الجامعات الكبرى خمس صفات بسيطة وهامة في آن معا:

- نحن نلقى دعمنا وبقاينا من المجتمع, ولهذا فإن علينا واجب خدمته,
- نحن نعمل على توسيع الأفق الأكاديمي وتحقيق التفوق في كل ما نقدم عليه,
- نحن نحمل مهمة موحدة تتمثل في التعليم والبحث,

- نحن نتمتع بمستوى عال من الاستقلالية،

- ونحن نكون في افضل احوالنا عندما تكون حدودنا مرنة وإستيعابية .

دعوني اتطرق سريعا لكل واحدة من هذه الصفات لأنها ذات صلة وثيقة بما يسعى اليه هذا اللقاء لاجتات الخليج.

استمداد الاستمرارية والبقاء من المجتمع

تتلقي الجامعات سواء كانت عامة او خاصة الدعم المالي من المجتمع. فالحرية التي يمنحها لنا والدعم الذي نتلقاه منه يوجبنا علينا الالتزام تجاهه، وهذا ما اكدت عليه بوضوح رسالة جامعة كامبردج التي تبدأ بالقول "ن مهمة جامعة كامبردج هي المساهمة في بناء المجتمع ..."

لقد القيت كلمة في اكتوبر عام 2009 في ابو ظبي خلال اجتماع للهيئة الاكاديمية لجامعة الامارات بدعوة كريمة من صاحب السمو الشيخ نهيان رئيس جامعة الامارات. ان نص رسالة جامعة الامارات يتضمن تأكيدا مشابها: إن جامعة الامارات تعمل على "تطوير القدرات العقلية والعملية والابداعية والقيادية لرجال الامة ونساءها بينما تعمل في الوقت نفسه على تطوير النمو الثقافي والاجتماعي والاقتصادي". إن الجامعات تحظى بثقة المجتمع، وهذا ما يجعل منها ملتقى مهما للفكر والحوار والتعليم يساهم في عملية تغيير المجتمع.

توسيع الأفق الأكاديمي وتحقيق التفوق

إن التحدي المستمر هنا يكمن في الحفاظ على توسيع الأفق الاكاديمي واحراز التفوق في أن معا، خاصة عندما يؤكد المجتمع والحكومة على اهمية العلوم التطبيقية لما لهما من مساهمة في الرفاه الاقتصادي، وعندما يحتل ذلك اهتمام الجهات الممولة، ويعكس مكانة الجامعة نفسها. ولكن العلوم الانسانية والآداب تسهمان في اثراء المجتمع ثقافيا بطرق قد لا تكون ملموسة بنفس القدر ولكنها لا تقل في الهمية، واعتقد ان لتعليم الانسانيات والعلوم الاجتماعية دور حيوي في التصدي للصراعات السياسية والثقافية والدينية. ففي مثل هذا اليوم قبل خمس سنوات، أي السابع من تموز، فجر اربعة اسلاميين بريطانيين قنابل ضد شبكة النقل لمدينة لندن مما اسفر عن مقتل اثنين وخمسين شخصا واصابة اكثر من سبعةمئة. لقد كان هجوما ضد المجتمع المدني، المجتمع الذي تسهم الجامعات في بقاءه

واستمراره. إن العلوم التطبيقية والهندسة لن تساعدنا في فهم مثل هذه الهجمات, لكن الانسانيات والعلوم الاجتماعية, التي تشمل مباحث السياسة والتاريخ وعلم النفس ومكانة الدين, قد تساعدنا بالفعل في ذلك. ان تنوع ورش العمل لهذا المؤتمر تعكس سعة افق اكايمي واهتماما واسعا في الانسانيات والآداب والعلوم وهذا ما يمنح المؤتمر قوة واهمية مميزة.

مهمة موحدة لاجل التعليم والبحث

يركز الحديث ي حول الجامعات على التوصل الى اكتشافات مذهشة في العلوم والتكنولوجيا. وكثيرا ما يُلفت الإنتباه أيضا , ولحسن الحظ, الى الإثراء الانساني من خلال تنمية الثراء الثقافي والتأمل, ولكن ما لا يقل اهمية عن ذلك هو دورنا كمعلمين, ولا يقل في الاهمية ايضا الطلبة الذين نخرجهم كمواطنين وقادة للمستقبل في العقود الاخيرة تضاعفت الميزانيات المرصودة للبحوث في العلوم التطبيقية في الجامعات التي تركز معظم جهودها في إنتاج البحوث. نتيجة لذلك, فإن القسط القليل من الميزانيات المخصص لدعم الانشطة التعليمية تقلص على نحو متسارع. فما تزال هذه الانشطة في المملكة المتحدة تعاني من نقص التمويل, علاوة على أنها تلقى اهمية واعتبارا اكايمي اقل في الجامعات التي تركز على إجراء البحوث. هذه الاوضاع بشقيها مدعاة للقلق, لانها تتطوي على مخاطر الانحراف, الذي قد لا يبدو واضحا للعيان ولكنه موجود, عن المهمة التعليمية للجامعات, وهي المهمة التي سنظل للابد المساهمة الأهم للجامعات في العالم. وكلما تأسست جامعات جديدة في الخليج ودشنت برامج للتعليم العالي فيه, فإنني اعتقد ان ثمة فرصة لتحقيق التوازن بين هذين الامرين, الإهتمام بالتعليم والإهتمام بالبحث

الاستقلالية

لا غنى للجامعات عن التمتع بالحرية, حرية اكتشاف دروب مجهولة, حرية التفكير والكتابة, حرية الجدل في كل ما هو تقليدي او مسلم به, حرية تعليم الطلبة ان يفكروا بأنفسهم لا كما يريدونهم الغير.

وبالنسبة لبعض المجتمعات فإن المطالبة بهذه الحريات امر كاف لأن يجد المرء نفسه في السجن. لكن التحديات التي يواجهها اغلبنا مختلفة, واكل جلاء للعيان, وتتبع من الداخل بقدر ما تأتي من الخارج. إن الحرية الاكاديمية التي هي على شاكلة ما أتيت على وصفه غير فعالة بطبيعتها: إنها حرية ان تقدم على مخاطر وان تفشل, حرية استكشاف المجهول لاشهر وسنة بعد سنة. فإسحق نيوتن الذي درس في

كلية ترينتي التي تبعد بضع مئات الامتار من هنا غير جذريا علمي الميكانيكا والبصريات وارسى اسس الرياضيات الحديثة, وقضى ايضا وقتا طويلا في دراسة علم الخيمياء اي تحويل المعادن الرخصية الى ذهب. وقد نحكم من منظورنا المعاصر فنقول أن ذلك الوقت ذهب سدى, ولكن بالنسبة لما كان سائدا في اواسط القرن السابع عشر, فإن دراسة الخيمياء, لم تكن امرا غير معهود بالنسبة للمشتغلين بالعلوم, فلها هدف واضح وذو فائدة واجتذب خيرة العقول في ذلك الوقت. بناء على ذلك, لا يمكن وصف اهتمام نيوتن آنذاك بالخيمياء بكونه ركوبا لمخاطر تستكشف دروبا مجهولة قد لا تفضي الى نهاية. ولكن ما كان خارجا عن المؤلف بحسب تقليد ذلك الزمن كان اهتمامه بالميكانيكا فذلك ما كان يُنظر إليه على أنه إضاعة للجهد والوقت. إن الضغط, سواء كان مفروضا ذاتيا ام خارجيا, لاجل ان يكون المرء فاعلا ومنتجا و"تاجحا" ليس بالامر السيء الى حد ما. ولكن ثمة مخاطر تأتي من حرص المرء على فاعلية مفروضة ذاتيا ومن الخشية عن الخروج عن السياق العام, الأمر الذي قد يقود في نهاية المطاف إلى محاصرة أي جهد خلاق يراه البعض إضاعة للجهد والوقت, مما يعيق البحث الحر ويؤدي إلى اخماد الشرارة الكامنة في صميم الابداع والاكتشاف والاختراع.

علينا ان نسهر على حماية نقاط القوة العظيمة هذه وان نحتمي بها: ثقة المجتمع, وحدة التعليم والبحث, توسيع الافق الاكاديمي واحراز التفوق, وحرية البحث العلمي. إنه لمن المفيد حقا التنويه الى قيمة واهمية هذه النقاط والتأكيد عليها في كل فرصة سانحة.

سأخص بالحديث قليلا الصفة الخامسة التي توفرها الجامعات لمساعدتنا على مواجهة التحديات العالمية. وقد اتيت على ذكرها سريعا, وهي قدرتنا على تخطي الحدود.

### تخطي الحدود

إن الجامعات تتخطى وبوتيرة متزايدة الحدود القومية, وثمة العديد من الاسباب الوجيهة لذلك. دعوني هنا آتي على ذكر ثلاثة منها فقط, وكلها تتجلى في برنامجكم الذي تعقدونه على مر الايام القليلة المقبلة, اولها هو التعليم. إننا نعلم مواطنين وقادة في عالم اصبح قائما اكثر فاكثر على الاعتماد المتبادل, والى بقاع هذا العالم يعود خريجونا للعيش والعمل في سياقات وطنية وثقافية متعددة خلال سنوات حياتهم. ثانيهما, البحث عن حلول لتحديات العالم الحديث. اما ثالثهما, فهو ان نكون في الخدمة وان نساعد في بناء قدرات حيثما لا يتوفر سوى القليل. وهنا جدير بي القول إننا في كامبردج عندما نساعد في بناء قدرات في اماكن اخرى, فإننا بدورنا نتعلم الكثير من هذا التبادل.

إن كامبردج تمر في عملية تحول، واعتقد انها تنتقل من الاقتصار على شكل محدد من العلاقة مع الخارج الدولي الى تبني شكلين محددين. فكامبردج رحبت على مر قرون بالاكاديميين الزائرين، كما ان اكاديمي كامبردج بدورهم يقومون برحلاتهم الى الخارج، فضلا عن تعليمنا للطلبة الاجانب قرابة تلك المدة. وآمل الا يتوقف كل هذا، لكن قوة الشراكة المؤسسية الذكية اصبحت شيئا فشيئا لا تخفى على احد.

لقد اخترنا الشراكة كنموذج مؤسسي للقيام بأنشطتنا الدولية، وفضلناها على افتتاح افرع لجامعتنا في الخارج. ويمكن للشراكة ان تكون من اعلى لاسفل او العكس، او ان يكون تركيزها منصبا على البحث او على التعليم، او ان تكون احادية او تعددية. ويمكن ان تشمل تبادل الطلبة والموظفين، او تبادلا فعليا للافكار او المشاريع البحثية المشتركة، ويمكن ان تكون تكافلية او تبادلا لبناء القدرات لامتلاك تجارب مؤسسية وتعليمية.

إن كامبردج تعقد شراكات ذات مضمون حقيقي وعن طريق كافة الاشكال آفة الذكر، مثلا مع جامعة الامارات والجامعة الاميركية في الشارقة وجامعة السلطان قابوس ونحن نلعب دورا قياديا في جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في المملكة العربية السعودية. وهذه الجسور ذات اتجاهين، فللخليج حضور في كامبردج ايضا، يتجلى اهمه في كرم ورؤية صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد، الذي خصص وقفا للانفاق على كرسي اكاديمي يشغله البروفيسور ياسر سليمان، وكرسي جديد يهتم بالتفاهم بين الاديان، وكذلك صاحب السمو الملكي الامير الوليد بن طلال الذي يحمل مركز الدراسات الاسلامية اسمه.

رغم ذلك، وانطلاقا من تجربتي، فإن التطلعات العليا للمانحين وحتى رؤساء الجامعات تظل بلا تأثير يذكر دون حماسة وطموح الاكاديميين، واني سعيدة بالقول إن كامبردج لديها من هذه الحماسة الكثير.

## خلاصة

إن كامبردج تستجيب ببطنة للتغير الحاصل في العالم، وهي تعمل على المساهمة في تشكيل وقيادة هذا التغيير. إن معظم شراكتنا الدولية كانت وليدة فرص سانحة، لا جراء تخطيط مؤسسي، لكننا اليوم اصبحنا اكثر تخطيطا. فبينما يتواصل السعي وراء حلول جماعية للمشاكل العالمية، من الواجب علينا ان نكون مستعدين للعب دور قيادي في اوجه التعاون الدولي. وطالما ان المزيد والمزيد من الناس باتوا يعيشون ويعملون عابرين لحدود ثقافية ودولية، فعلينا نحن الجامعات واجب المساعدة في

تأهيل طلبتنا واعدادهم للتأقلم مع تلك الحياة. وطالما ان وسائل الاتصالات غيرت معنى حرية الوصول الى شيء او الاقتراب منه او استعماله, فعلينا استغلال تلك الفرصة ايضا بشكل مبدع. مع كل هذه الامكانيات المتاحة اماننا , انا متأكدة من ان التعاون الدولي سيظل ينمو لأسباب عديدة على رأسها أهميته وجاذبيته وما يتيح من علاقات صداقة بين الزملاء وعبر الامم.

اصحاب السعادة, ايها السيدات والسادة, شكرا لكم مرة اخرى على مجيئكم الى هنا, وشكرا لانصاتكم لكلمتي, واتمنى للملتقى كل نجاح ممكن.